

ترجمة السنة النبوية أهمية وخصائص ومعوقات

ورقة عمل مقدمة إلى الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها ، ضمن
المشاركة في ندوة ترجمة السنة والسيرة النبوية

إعداد

د/ نوال بنت حسن بن سليمان الغنام
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية للأقسام
الأدبية للبنات
جامعة القصيم

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

ليس يخفى أن المتخصص في فن من الفنون لا يجد نفسه كثيراً إلا فيه ، ولقد شاء الله لي وتكرم
أن أطلب علم الحديث أسأل الله أن يعينني على ما قدر لي وأن يرزقني سداد الرأي وصلاح النية ،
وحين عمدت (الجمعية العلمية السعودية للسنة وعلومها) إلى عقد ندوة تعنى بترجمة السنة والسيرة

النبوية ، كنت أظن أن المشاركة إلى الواجب أقرب. وإني وإن كنت غير ضليعة باللغة فإن مداومة النظر في كتب السنة وأقوال الصحابة وأصحاب القرون المفضلة لا شك أنه ألقى بظلاله استثناساً باللغة وبحوثاً فيها .. وليس يخلوا حديث نبوي أو أثر من نظر في اللغة ومعانيها ومتفرق مقاصدها. وحسبنا أن ابن الأثير - رحمه الله - ألف معجمه (النهاية في غريب الحديث والأثر) ولم يجاوز ابن منظور في لسان العرب شيئاً مما دونه ابن الأثير إلا ضمنه لسانه!!

هذا ويتحدث غير العربية من المسلمين نحواً من مليار إنسان كلهم لهم حق العناية وتقريب السنة بلغتهم ، فكان الحديث عن ترجمة السنة من أهل الاختصاص هو من ميسر الحاجة ومهم الرعاية. وفي ورقتي هذه حاولت جاهدة أن أزواج فيها بين تخصص الحديث وموضوع الندوة ، إلا أن الغلبة كانت للغة ، ولا بأس - إذاً - حين نخب شيئاً من الوقت والجهد للغة القرآن لغة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، أسأل الله التوفيق والسداد ..

مدخل :

يقول الحق - تبارك وتعالى - : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾^(١) ، ويقول - سبحانه - : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(٢) ،

(١) البقرة ، آية : ٣٠

(٢) البقرة ، آية : ٣١

وبقى الناس كما جاء في الحديث ^(١) عشر قرون على ملة التوحيد ، وحين أغواهم الشيطان واستجلبهم إلى عبادته دون عبادة الله بعث الله سبحانه رسله مبشرين ومنذرين ، وكان سبحانه يؤيد كل رسول بآية أو معجزة [على اختلاف في آية هود - عليه السلام - ما هي؟] وتكون له عوناً وسنداً في دعوته ، والحديث في آيات الرسل شائع معروف . غير أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ومنتهى الرسل كان من حكمة الله له أن كتب لأعظم آية أرسله بها البقاء القرآن ، وقد وكل - سبحانه - حفظ القرآن الكريم إلى نفسه ، قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ^(٢) ، وبقيت محاولات تحريف القرآن أقل بكثير مما يمكن التحدث فيه ، وهي إلى النواذر أقرب ، ذاك لأن القرآن الكريم فوق ما هو محفوظ في صدور الحفاظ ومن أوتوا العلم ؛ فهو - كذلك - أنيس كل عبد قراءة وتدبراً ، ولسان كل مصل في صلاته وخلواته .

واللافت هنا أن حفظ القرآن من الضياع والتحريف تبعه ما يمكن نعتة بحفظين آخرين ...

الحفظ الأول : حفظ اللغة التي نزل بها ، إذ نزل القرآن بلغة العرب التي كانت شغل أهلها الشاغل ، واللسان الذي تبرز به الأمم الأخرى وتفاخر به ، فحفظ الله لغة العرب أن تضيع وتندثر وتبدل .. وانتدب رجال أنفسهم لعلم اللغة أو ما يصطلح عليه حديثاً بعلم " الألسنيات " كتابة وتدويناً وتقعيداً

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٤٨٠ ح ٣٦٥٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وقال الحاكم : صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي .

(٢) سورة الحجر (٩)

واستقراءً وجمعاً ، فضمت مكتبة اللغة العربية وعلومها من الكتب والمجلدات الكثير الكثير ... وبقيت اللغة العربية بجرأ له شاطئه للمقتصد ولجته للمتبحر المتخصص .

الحفظ الثاني: حفظ الممارسة الخطاب : لا يدرك كثيرون أن بقاء لغة لأكثر من ألف وخمسمائة سنة آية ومعجزة !! إن اللغة -أي لغة - حين تكتب يحرص كاتبها أن يختار من المفردات أبينها وأفصحها وأقربها دلالة على زمن المعاش .

وأقرب مثال وأشهره ما نقرؤه من كتابات الأديب الإنجليزي شكسبير قبل نحو أربعمائة سنة ، لقد كتب تلك النصوص في لغة عصره ولكن -وبعد قرون أربعة - أصبحت تلك المدونات بحاجة إلى تفسير وفك للمفردات والمستغلة ، ولا تزداد مع الزمن إلا استغلاقاً ، والسبب في ذلك يسير مشاهد ، إنها (اللغة) التي لا تعرف الاستقرار والثبات ، فالناس دائمو التجديد والتغيير في ألسنتهم وسبل تعبيرهم . وما لنا نذهب بعيداً وبين أيدينا ما ينعت باللهجات أو اللغة المحلية لكل بلد ، فالعرب الذين يتحدثون في فصاحتهم العربية، يتحدثون في عاميتهم لهجات عديدة هذه اللهجات هي وسيلة التخاطب في البيع والشراء والمسامرة ، وكذلك كثير من المكاتبات ، وربما وقع بين يدي أحدنا نص مكتوب بلهجة عامية قبل سنة أو أكثر ليلحظ الفارق بين تلك العامية والعامية التي يتحدث بها الآن .. حتى إنك لترى عرباً يتحدثون الفصحى وحين يتكلمون العامية فإنك بحاجة إلى مترجم فما يستغلق عليك فهمه كثير كثير .

وهنا ندرك أهمية الحفظ الثالث وهو حفظ التخاطب والتحاور والفهم

والاستيعاب ، إن أحدنا حين يقرأ القرآن ، لا يكاد يستغلق فهمه إلا على القليل ، ولا تكاد تعجزه مفردة أو سياق ، وما ذاك إلا بسبب قرب الفصحى وسهولتها ، الذي لا يكتفي بالبساطة وحسب ، بل بالاستعذاب والاستمتاع بجمال المفردة ، وفن التركيب والتحكم في المعاني .

إن نصاً تأخذه من جريدة يومية تدرك يقيناً أنه لو عرض على عربي في القرن العاشر وآخر في الخامس وثالث في الصدر الأول لكان فهمه واحداً ، واستيعابه قريباً ، وهذا لا يعني عدم تبدل بعض المفردات أو العبارات والتراكيب ، ولكننا نقصد هنا اللغة ذات المفردات الشائعة المتداولة .

وعلى ما مضى فإن استثناء هذا الحفظ وما تولد عنه من خصائص اللغة ، هو من واجبات المترجم وأولى مهامه وعنايته وإجاداته .

نشأة اللغة ..مصدر المنهجية :

نظريات نشوء اللغة متعددة ، وكلها يعتمد على الحدس والتأمل وشيء من الاستدلال ، فليس هناك نصوص مباشرة واضحة تدل على نظرية محدودة ، والاختلاف في هذه المسألة حين يطالع في مظانه (كتب فقه اللغة) يلحظ أن النظريات بإمكانها أن تتلاقى وتتعاقد لتكون رؤية شمولية للغة بدءاً بالنشوء ومروراً بالتوسع فالانتقاء والاصطفاء .

إذ ما من شك أن آدم - عليه السلام - حين أنزله الله إلى الأرض أوحى

إليه الأسماء بقوله - سبحانه - : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾^(١) ، ومعنى " الأسماء " هنا فيه خلاف عريض لا يتسع المقام لحديثه ، وهو جزء من الاختلاف في اللغة هل هي توقيفية أم مواضعة واصطلاح^(٢) . وغير ذلك من الآفاق بهذه الشؤون اللغوية ، التي نرى هنا أنه ينبغي لكل من اضطلع بالترجمة وفنونها أن يمر - ولو مرور الكرام - على هذه النظريات التي تتحدث في نشأة اللغة ويتأملها .

فالمترجم بحاجة دائمة إلى المقاربة والتأمل في نظريات نشأة اللغة ، فهذا سيساعده على مران أكثر في الترجمة وابتكار الألفاظ المناسبة . ويتأمله هذا سيلاحظ جلياً تطور اللغة وانتقالاتها وتبدل ألفاظها ودلالاتها وسيلاحظ - كذلك - ما للغة العربية من خاصية نادرة في هذا المجال من تطور منضبط وحراك مرن يزاوج بين الأصالة وروح العصر ومتطلباته .

(١) سورة البقرة (٣١)

(٢) انظر : الصاحبي في فقه اللغة ص ١٤ ، المزهر ج ١ ص ١٢

الفصل الأول

خصائص اللغة العربية التي لها علاقة باللغات الأخرى

مما لا شك فيه أن اللغة العربية تعتبر من أعظم لغات العالم ، ليس هذا الكلام من باب مدح الذات ، ولكنها الحقيقية التي جعلت من لغة يمتد عمرها لأكثر من ألف وخمسمائة عام ، لا تزال حية تغطي مساحة لا يوجد لها مثل في العالم !! هذا البقاء وهذه المساحة لهذه اللغة لم يكن محض صدفة أو وافر حظ ، ولكنها ظروف وعوامل عديدة سآتي على أهمها ، جعلت من اللغة العربية بمثل هذه المثابة وهذا المكان ..

ولعلي أتجاوز العديد من الخصائص والسمات التي تميز اللغة العربية بشكل عام ، وأحيل هنا إلى ما دونه ابن فارس في الصحاح ، والقلقشندي في صبح الأعشى ، والسيوطي في المزهري وغيرهم^(١) .

غير أنني هنا سأركز على ما أراه من خصائص وميزات اللغة العربية التي يمكن أن يستثمرها المترجم وتختصر عليه خطوات عديدة في سبيل نقل اللغة والنقل إليها ، وأجمل هذه الخصائص بما يلي :

١ - إمكانية التوغل والاندماج :

من المعلوم أن اللغة الأم اللغة العربية هي اللغة السامية التي تفرع عنها عدد من اللغات، جاء في الحديث : " أول من نطق لسانه بالعربية إسماعيل " ^(٢) .

(١) انظر صبح الأعشى ١٥٤/١ و ٢٥٤/١ والمزهري ٢٥٤/١

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه (٦٠٢/٢ ح ٤٠٢٩) والبيهقي في الشعب (٢٣٣/٢ ح ١٦١٧) وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وخالفه الذهبي وقال عبد العزيز [بن عمران]واه .وعزاه الحافظ في

وكانت اللغة العربية قريبة من اللغة العبرية والسريانية .

وتوسع العرب وتفرعهم في الجزيرة العربية والشام والعراق ، جعل من هذه اللغة رباطاً قوياً لكل هؤلاء ، وكان الشعر والأمثال والتراسل المحفوظ أبرز وسيلة للتخاطب والمناقلة ، وهو ما دفع إلى أن تنتظم اللغة العربية لنفسها خطأً موحداً ، وهو ماسهل على متحدثيها ألا يتيهوا في غريب اللهجات ، ونراهم تواضعوا على اللغة صرفاً ونحوا ، ولا تكاد ترى فيه الشاذ ، فالعرب قاطبة رفعت الفاعل والمبتدأ ونصبت المفعول به والحال ونحوها ومن يتأمل النحو البصري خاصة يجد أن الأسس والنظم التي اعتمدها تدوين النحو هو استقراء اللغة وإثبات المشتهر المعروف ، وإبقاء المختلف حسب ما اقتضاه وجوده شاذاً أو ضرورة أو قليلاً على مانراه فيما كتبه ابن هشام وغيره في شروح الألفية .

هذا الوضع جعل من اللغة العربية إمكانية تعلمها وضبطها أمراً يسيراً .

٢ - التبادلية المرنة داخل اللغة نفسها.

فوق أن قريشاً كانت العاصمة الدينية للعرب يقصدونها للحج ، فقد كانت مصدر إشعاع ثقافي وعلمي ، وكان سوق عكاظ الذي يعقد أول ذي القعدة حتى الحج قريباً من الطائف يحضره التجار والشعراء والخطباء والرواد^(١) . وكانت لغة قريش هي أيسر لغات العرب وأسهلها إذ كانت بموقعها الديني

ليفتح(٤٠٣/٦) إلى الزبير بن بكار عن علي في النسب وحسن إسناده، ولم أقف عليه. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع(ح ٢٥٨١) وعزاه إلى الشيرازي في الألقاب (١) الأغاني (٦٢/٢٢) .

والتجاري وحضور الأعراق كافة إليها تلتزم لهجة مفردات دارجة يعيها الجميع .

قال القلقشندي : " وكانت لغة رسول (صلى الله عليه وسلم) التي يتكلم بها على دوام ويخاطب بها الخاص والعام لغة قريش وحاضرة الحجاز إلا أنه أوتي جوامع الكلم وجمع إلى سهولة الحاضرة جزالة البادية .. (١) .

وسهولة لغة قريش كانت بسبب انتقائها وإبدالها ، للألفاظ فتختار اليسير السهل القريب ، وحسبنا أن القرآن نزل بلغة قريش لا تزال نقرأه ، ولا يستغلق علينا منه إلا القليل بل إن تأثير هذه اللغة انسحب كذلك على ما

جاورها ، فقد كانت لغة الأنصار سهلة يسيرة قريبة من قريش قال في المزهري : وقال ابن معين : لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التابوت فلغة قريش بالتاء ولغة الأنصار بالهاء (٢) .

هذه السهولة وهذا التقريب ، يجب أن يأخذ حقه من الالتفات ، حين تعليم اللغة وترجمتها ، على ما يأتي عليه المباحث القادمة إن شاء الله .

٤ - التبادلية المرنة مع اللغات الأخرى:

اللغة العربية لغة مرنة ، تتلقى وترسل ، ولقد عرفت العرب قديما ما أسمته " المعرب " وهو اللفظ الذي استعاره العرب الخالص في عصر الاحتجاج باللغة من أمة أخرى ، واستعملوه في لسانهم كالسندس والإستبرق والإبريق ، ثم جاء إثر

(١) انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، القلقشندي (٢/٢٦٠) .

(٢) انظر : المزهري في علوم اللغة ، السيوطي (٢/٧٧) .

ذلك " الدخيل " وهو ما أخذ إلى العربية من لغة أخرى في وقت متأخر ، وعلى إثر التطور والتحديث جاء ما سمي بـ " المولد " وهو اللفظ العربي ينصرف إلى معنى جديد ، وعاش ذلك كله في عصر ما بعد الاحتجاج ما سمي بـ " العامي " و " الملحون " وهو اللفظ العربي يتغير تركيبه إلى غير العربية كـ " جوز " يراد به " زوج " والمغرب والدخيل كتب فيه كثير وصورت فيه معاجم تخصه (١) .

قال الجاحظ في البيان والتبيين : " وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر ، حدثني أبو سعيد عبد الكريم بن روح قال : قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة إنما الفصاحة لنا أهل مكة ، فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحي الألفاظ للقرآن وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم ، أنتم تسمون القدر برمة وتجمعون البرمة على برام ونحن نقول قدر ونجمعها على قدور ، والله عز وجل : ﴿ وجفان كالجواب وقدور راسيات ﴾ وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت عليّة وتجمعون هذا الاسم على علالي ونحن نسميه غرفة ونجمعها على غرفات وغرف وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ غرف من فوقها غرف مبنية ﴾ وقال : ﴿ وهم في الغرفات آمنون ﴾ وأنتم تسمون الطلع الكافور والاغريض ونحن نسميه الطلع ، وقال الله عز وجل : ﴿ ونخل طلعها هضيم ﴾ فعد عشر كلمات لم أحفظ أنا

(١) انظر : المعجم المفصل في المغرب والدخيل ، د . سعي ضناوي ، كلام العرب

من قضايا اللغة العربية، د . حسن ظاظا ص ٦٧ .

منها إلا هذا ، ألا ترى أن أهل المدينة لما نزل فيهم ناس من الفرس في قديم الدهر علقوا بألفاظ من ألفاظهم ولذلك يسمون البطيخ الخربز ويسمون السميطة الروذق ويسمون المصوص المزوز ويسمون الشطرنج الاشترنج إلى غير ذلك من الأسماء^(١) .

وتفنن لغويو العصر الحديث بالمولد بعد شيوع الحضارة ودخول الآلة ، وكان من أعلام هؤلاء الشدياق واليازجي ، وأمين نخلة وعبد الله البستاني وغيرهم^(٢) .

والمهم هنا أن اللغة العربية لغة سهلة التعاطي والتبادل ، ولا بأس إذا من مثل هذا الإرسال والاستقبال للكلمات دون أن يؤثر ذلك على أصل جوهرها . ومنهج ذلك - فيما أظن - هو ما عربه القرآن الكريم وعربته السنة النبوية ولم يؤثر في اللغة ، وعلى مر قرون الإسلام ظل الدخيل يرد إلى العربية ويستخدمه أهل عصره ثم يذهب بمرور الأيام وبقاء اللفظة من عدمه مرتبط بقبول الناس لها ، انظر مثلاً إلى الكلمة المعربة " تلفون " والعربية المولدة " هاتف " وكذلك الكلمة المعرفة " تلغراف " والمولدة " برقية " لا شك أن استخدام الناس لكلمة التلفون أكثر من الهاتف ، وعلى العكس فكلمة البرقية أكثر بكثير من التلغراف .

والمهم هنا أن نفهم سرّاً من أسرار اللغة وميزة من ميزاتها ، وكذلك أن نستوعب منهجها ، وقديماً قيل : إن الوسط فضيلة بين رذيلتين ، فإبقاء اللغة

(١) البيان والتبيين (٢٥/١)

(٢) مصادر التراث العربي ص ٢١٥ وما بعدها .

جامدة على قوالب محددة يسيء إليها أكثر مما يخدمها ويحصرها على جملة من اللغويين ، وكذلك السماح للغات الأخرى سيما الحضارية منها بأن تغير نظامها وتستبدل الكثير من ألفاظها في هذا الكثير من العبث والمغامرة .
ومن اضطلع بالترجمة فعليه أن يدرك شيئاً من هذا لكي ينقل اللغة العربية إلى غيرها مستصحباً هذه الأدوات المهمة اللازمة .

٥-سعة الدلالة مع سعة المفردة :

تنفرد اللغة العربية بسعة المعاني الذي تعضده سعة المفردات . فكثير من اللغات لا تمتلك مفردات يستطيع من خلالها المتحدث إيصال المعاني التي يريد .
حتى قال بعض الفقهاء : " كلام العرب لا يحيط به إلا نبي " .
قال ابن فارس وهذا كلام حريّ أن يكون صحيحاً^(١) .

ونرى معاجم لغوية كلسان العرب لابن منظور وتاج العروس للزبيدي حوّت ما يزيد على مائة ألف مادة من كلام العرب ومفرداتها ، وما من شك أن كثيراً من هذا المفردات لا تكاد تستعمل ، ولكن ذلك يشير إلى سعة هذه اللغة وتنوع مفرداتها ، وهو ما يمنحها مراناً وحركة أكثر من غيرها وهذه

الميزة من الممكن أن نستثمرها سلباً فنلزم العامة بمرتقى صعب لا يقدر عليه إلا الأقلون كما نسمعه نحن العرب في الخطب والمحاضرات عند نفر ليس بكثير

(١) انظر : الصاحي في فقه اللغة العربية لابن فارس (ص ٢٤) .

وبعض ممن صنف وكتب .

٥ - الدين لغته العربية :

أكبر رافد للغة العربية هو الإسلام ، فإضافة إلى كون القرآن الكريم قد نزل بهذه اللغة ، ونبيه محمد ﷺ ؛ فقد كان لانتشار الإسلام وبلوغه الآفاق أثراً كبيراً في انتشار هذه اللغة ، فمن الناحية السياسية الغلبة كانت للمسلمين وأغلبهم كانوا عرباً أو يتكلمون لغة العرب ، وانسحب ذلك على الناحية الفكرية فكانت المؤلفات باللغة العربية والمترجمات تنقل إلى العربية ، ومتعلمو العربية وحذاقها كل يوم بازدياد ، وتبعاً لذلك ازداد عدد الوراقين والنساخ وازدهرت حركة الكتابة حتى أصبحت علماً وسوقاً يقصده أهله في كل مدينة

وأصبحت اللغة العربية - إضافة إلى متحدثيها العرب - لغة ثانية للعديد من غير العرب ، وكان الدين الإسلامي ألقى بظلاله على حياة الناس وتعاملاتهم فصارت المصطلحات كالوضوء والصلاة والتوبة وغيرها عربية إضافة إلى المعاملات التي غالبها ما طغى عليه الحرف العربي .. وما نراه اليوم

من مدى تأثير تلك اللغات باللغة العربية يثير الدهشة ، من مدى تأثير تلك اللغات باللغة العربية ، إن مطالعة في معجمات اللغة العربية المستعارة في اللغات الأجنبية^(١) ، ليجعل القارئ يعجب من إثراء اللغة العربية لتلك اللغات ، وهو ما سآتي عليه لوجوب استثماره في عمليات الترجمة .

(١) انظر : معجمات اللغة العربية المستعارة في اللغات الأجنبية د . داود سلوم .

الفصل الثاني

صعوبات ترجمة اللغة العربية

أسلفت في الإشارات السابقة إلى خصائص اللغة التي لها علاقة مباشرة بالترجمة ، والتي ينبغي استثمارها في سبيل الدفع بالترجمة تيسيراً وإتقاناً إلى مستويات أفضل .

وسآتي هنا على بعض الصعوبات والمعوقات للترجمة وسبل التغلب عليها ، فمن هذه الصعوبات ما هو ذاتي ، أي ميزات وخصائص في اللغة تجعل من عملية الترجمة فيها قدر من العُسْر ، كسعة الألفاظ ، ويقابل ذلك ما هو متعلق باللغة المترجم إليها ، وأعني به ضيق وقلة الألفاظ أو ما يصطلح عليه بالمواد .

وسآتي هنا على أهم صعوبات ترجمة اللغة العربية إلى غيرها .

أولاً : سعة المعجم العربي :

سبقت الإشارة إلى كثرة المفردات في اللغة العربية ، وفي معاجمها التي ضمت عشرات الآلاف من المواد ، وإذا كان المقام هنا هو الحديث عن ترجمة السنة فإني أنقل هنا ما دونه الدكتور " أ ي فنستك " أستاذ العربية بجامعة ليدن ، وناشر المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، قال في المقدمة : " وهناك صعوبة أخرى مشابهة تضاف إلى ما تقدم من مشكلات: لقد كان من المحتم أن نقوم بتقدير تقريبي لحجم المعجم لكي نتمكن من حساب النفقات اللازمة ، وسرعان ما اقتنعت بضرورة القيام بعملية " اختصار كبير " للمواد التي جردها الأعضاء المساعدون في عناية ودقة ، ليس فقط لأن طبع كل هذه المواد أمر يتجاوز حدود المساعدة المالية المتاحة ، بل - أيضاً - لأن طبع هذه المواد مجتمعة سوف يربك استعمال المعجم استعمالاً ميسوراً " (١) .

لقد ضم هذا المعجم ما يزيد على ثلاثين ألف مادة لغوية ، تفرقت في متون السنة النبوية التسعة التي أتى عليها المعجم .

وما من شك في أن هذه المفردات هي من الكثرة بمكان يصعب الإحاطة بها ، غير أنه من المعلوم أن اللغة التي يستعملها الأفراد لا تكاد تتجاوز عشرة آلاف مفردة ، وهذا الفرق بين ما هو مدون ومكتوب وما هو منطوق وشائع ، وهذا لا يخص اللغة العربية ، بل هو في العديد من اللغات ، يقول الدكتور حسن ظاظا : " ولنترك اللغة العربية قليلاً ، لنأخذ بعض الإحصاء من لغة

(١) المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي (٨/١) .

أخرى ، كالفرنسية مثلاً ، وهي لغة حديثة ، تأتي في الصف الأول من لغات الفكر المعاصر القوية الحية المتطورة ، يذكر اللغوي الفرنسي " هنري متران " في كتابه " الألفاظ الفرنسية " أن معجم " لاروس الصغير " - طبعه سنة ١٩٦١م - قد أثبت نحواً من خمسين ألف لفظة فرنسية ، وأن " معجم الأكاديمية الفرنسية " - طبعة ١٧٨٧م - مع التزامه ألا يثبت إلا الألفاظ الأصلية الصحيحة الفصيحة ، وأن تكون مع ذلك ألفاظاً عامة وليست مصطلحات تقنية خاصة ، قد احتوى ما يقرب من ثلاثين ألف لفظة . أما " معجم لاروس الموسوعي الكبير " ففيه ما لا يقل عن مائتي ألف لفظة . والمعجم المسمى " جامع اللغة الفرنسية " الذي أشرف على جمعه وترتيبه اللغوي الفرنسي " ماريو روك " إلى أن توفي سنة ١٩٣٨م ؛ ومن بعده " كنز اللغة الفرنسية " الذي أشرف عليه المركز الوطني الفرنسي للبحث العلمي ، ووضع تحت إدارة اللغوي " بوب إمب " يحتوي على مئات الآلاف من المواد ، وعشرات الملايين من الاستعمالات .

إلى جانب ذلك نجد معجماً مؤلفاً ألفه اللغوي الفرنسي " جوجنهايم " وسماه " المعجم الأساسي " وقد التزم فيه إثبات الألفاظ المستفيضة الاستعمال فقط ، فلم يتجاوز عددها ثلاثة آلاف ، وقد ظهر من الإحصائيات التي عملت بعد ذلك أن مجموع الناطقين باللغة الفرنسية لا يستعملون ، بل لا يفهمون مجتمعين ، إلا تسعة آلاف لفظة فقط ، من المادة اللغوية الفرنسية^(١).

ويبقى أن نلاحظ أن مفردات عدة يسمى بها الشيء الواحد ، خذ مثلاً

(١) انظر : كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، حسن ظاظا ، ص ٩٩ .

الجميل له في اللغة العربية ما يزيد على مائة اسم وللكلب ستون اسماً ومثله السيف والأرض وغيرها وإن كان من أهل اللغة من يميل إلى أن اتساع الاسم لمسمى واحد هو إلى باب الوصف أقرب منه إلى التسمية. قال السيوطي : "عن أبي علي الفارسي ، قال كنت بمجلس سيف الدولة بجلب ، وبالحضرة جماعة من أهل اللغة ، وفيهم ابن خالوية ، فقال ابن خالوية : أحفظ للسيف خمسين اسماً ، فابتسم أبو علي وقال : ما أحفظ له إلا اسماً واحداً وهو السيف . قال ابن خالويه : فأين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو علي : هذه صفات ، وكأن الشيخ لا يفرق بين الاسم والصفة " (١) .

معضلة سعة المفردات ليست بحاجة إلى حل بقدر ما هي بحاجة إلى تأمل وإعادة نظر، فليس من المناسب أن نزهو بلغة على حساب أن نجعلها عسرة المنال مستحيلة الإحاطة .

وما أظنه جديراً بالاهتمام في مجال الترجمة أن يؤول الأمر في المفردات إلى الأكثر شيوعاً واستخداماً والأسهل نطقاً ثم نتهدي إلى ترجمتها باللغة التي نريد ، فيكون الأمر أحرى بالقبول والتعلم .

ثانياً : سعة المعنى :

بقدر ما كانت كثرة المفردات في اللغة العربية كان المعاني أوسعها وأشمل وفي اللغة يحتاج المتلقي إلى تأمل فيما يسمع ويقرأ وأن ينزله منزله ، ففي علم البلاغة ما يسمى الاستعارة والكناية والتورية ، وكلها استخدام للمفردة في غير موضعها

(١) انظر : المزهر (١/٢٤٠) .

، وباب المجاز - على خلاف فيه- وهو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له ، باب واسع كبير^(١) . قال أبو علي الفارسي : " وقد قال بعض علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال : ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة ، كما نقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرومية ، وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله - عز وجل - بالعربية ، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب ... " (٢)

وترجمة المعاني لا الألفاظ تتطلب حذقاً واتفاقاً على المعنى لا سيما فيما يخص الشرع والألفاظ الدينية ، لننظر مثلاً إلى حديث معاذ يرفعه قال ﷺ : " ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس على وجوههم أو على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم " (٣) ، فإن قوله ﷺ : " ثكلتك أمك " جملة دعائية ، يفهمها العربي بأنه لا يقصد منها الدعاء بالهلاك ، قال الحافظ : " هي كلمة تقولها العرب للإنكار ولا تريد بها حقيقتها " (٤) .

الأمر هنا يحتاج إلى بيان المراد للعربي وغير العربي حين ترجمته ، ولكنك

(١) انظر : مفتاح العلوم للسكاكي (ص ٣٥٩) .

(٢) الصاحبى في فقه اللغة ص ١٩

(٣) أخرجه الترمذي في الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة (٢٨٠/٧) ح ٢٦١٩ ، وابن ماجه في الفتن ، باب كف اللسان في الفتن (١٣١٤/٢ ح ٣٩٧٣) ، وعبد الرزاق في مصنفه (١٩٤/١١ ح ٢٠٣٠٣) ، وأحمد (٢٣١/٥) ، والطبراني في الكبير (٦٤/٢٠) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٤٦/٧) .

ترى في أحاديث أخرى لا يلزم العربي أن تشرح له كحديث : " يقطع صلاة الرجل... " وكلمة القطع هنا لا تترجم بلفظها وإنما يشار فيها إلى المعنى ، وهذا باب واسع كثير ، ينبغي لمن يعتني في ترجمته أن يكون ملماً بالشرع ، ومرادات كلام العرب وأقوال أهل العلم كما سآتي عليه في صفات المترجم .

الفصل الثالث

صفات المترجم :

أولاً : الأمانة والإجادة :

جاء في الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : " قال رسول الله ﷺ :
أتحسن السريانية؟ قلت : لا ، قال : " فلتعلمها فإنه تأتينا كتب " قال :
فتعلمتها في سبعة عشر يوماً " ، قال الأعمش : كانت تأتیه كتب لا يشتهي أن
يطلع عليها إلا من يثق به ^(١).

(١) أخرجه أحمد (١٨٢/٥) ، وابن حبان (الإحسان ٨٤/١٦ ح ٧١٣٦) ،
والطبراني في الكبير (١٥٥/٥ ح ٤٦٩٢٨) ، والحاكم في المستدرک (٤٢٢/٣) ،
والبيهقي في الكبرى (٢١١/٦) ، وقال الحاكم : صحيح إن كان ثابت بن عبيد سمعه
من زيد بن ثابت ولم يخرجاه .

وجاء في رواية أخرى عن زيد قال : قال أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب يهود ، قال : والله ما آمن يهود على كتابي ، فتعلمته ، فلم يمر بي إلا نصف شهر حتى حذقته ، فكنت أكتب له إذا كتب ، وأقرأ له إذا كتب إليه ^(١) .

ومن الحديث نستخلص صفتان هما الأهم في المترجم :

الأولى : الأمانة : فإن المترجم الأمين هو من ينقل الحديث تماماً كما هو دون أن يدفعه ميل أو هوى إلى تغيير أو تبديل .

الثانية : الإجادة : فإن المترجم قد يكون أميناً ولكنه غير عليم تماماً بما يترجم ، فربما خلط وبدل ، فوجب هنا على المترجم إجادة اللغة المترجمة ، والمترجم إليها حتى يضع كل كلمة في مرادفها ، وكل معنى في معناه .

قال القلقشندي : " ينبغي للكاتب أن يتعلم لغة من يحتاج إلى مخاطبته أو مكاتبتها من اللغات غير العربية " ^(٢) .

ثانياً : النظر في علم الترجمة :

آثرت أن أفرد هذه الصفة في بند مستقل لما أراه لها من حداثة وأهمية ، فمع اتساع العلوم الذي أدى إلى تقسيمها والإبداع في تفاصيلها ؛ أصبح علم

(١) أخرجه أبو داود في العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب (٣٤٢/٢) ح (٣٦٤٥) ، والترمذي في الاستئذان ، باب ما جاء في تعليم السريانية (٣٤٧/٧) ح (٢٧١٦) ، وأحمد (١٨٦/٥) ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وحسنه الحافظ في الفتح (١٨٧/١٣) .

(٢) انظر : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (٧/٣) .

الترجمة علماً مستقلاً بذاته ، يقول عبد الله العميد في ورقه قدمها في مؤتمر " الترجمة ومجتمع المعارف " والذي عقد في القاهرة عام ٢٠٠٦م برعاية المجلس الأعلى للثقافة : " إذا كان مجتمع المعرفة هو المجتمع الذي يبدع المعارف وينشرها ويستفيد منها بوجه عام ، فإن أوساط الباحثين في قضايا الترجمة يمكن أن تعتبر بمثابة " مجتمع معرفة مصغر " وثيق الصلة بحركة الترجمة . " مجتمع المعارف الترجمة " هذا هو الذي أنتج في البلدان العربية نحو ٢٦٠ كتاباً عن الترجمة في غضون ٦٠ سنة .

وبجانب هذا الرصيد المعرفي العربي ، قام " مجتمع المعارف الترجمة " في البلاد العربية بإصدار ٢٣ كتاباً مترجماً إلى العربية عن كتب علم الترجمة الأجنبية خلال الفترة من ١٩٧٠م إلى ٢٠٠٥م ، وللتعرف على رصيد المعارف الترجمة " المستورد " أتناول في هذه الورقة موضوع الترجمة العربية لدراسات الترجمة الأجنبية ، غير أن هذه المحاولة ليست سوى مقدمة توثيقية (ذات طابع إحصائي وتصنيفي) القصد منها تمهيد الطريق للقيام لاحقاً بتحليل ودراسة مضمون ما نقل إلى العربية من دراسات الترجمة . ذلك أن نقل المعارف الترجمة إلى اللغة العربية يثير عدداً من الأسئلة التي يُرجي أن تتيح الإجابة عنها الإسهام في دراسات الترجمة العربية .

الأسئلة في هذا المضمار كثيرة ، وربما كان أولها هو التساؤل بشأن ما إذا كان فعلاً في حاجة إلى ترجمة دراسات الترجمة إلى العربية ، ومدى فائدة هذه الترجمة ، هل يمكن أن نحقق التقدم المنشود بالاعتماد المطلق على قوانا الذاتية فقط واجتهادنا الخاص بمعزل عما يحققه الآخرون من تقدم في هذا المضمار ؟ أم نحن بالتأكيد في حاجة إلى مواكبة ركب الدراسات والبحوث المتقدمة ورصد

إنتاج الآخرين كي نستفيد مما هو جديد فيه ؟ هل تمخضت الترجمات التي أنجزت في مجال علم الترجمة عن تأثير واضح يمكن رصده وتحديدده . هـ

وقد ذكر الباحث - فيما يذكر من ورقته - أن ترجمة كتب علم الترجمة قد حازت فيه قصب السبق جمهورية مصر العربية ، واستقر الأمر كما في المملكة العربية السعودية .

التوصيات :

من خلال ما قرأت وكتبت يمكن استخلاص بعض التوصيات ومنها :

١ - إنشاء مركز خاص يعنى بترجمة السنة النبوية يتوافر فيه القدرات البشرية وغير البشرية في سبيل الرقي بهذه المهمة ، ومحاولة استقطاب الكفاءات والملمة المناشط والمشاريع المنفردة والتجارية للعناية بهذا المجال .

٢ - البداية فيما يمكن تسميته " علم ترجمة السنة النبوية " يبحث في حقيقة هذا العلم وأصوله الشرعية واللغوية وارتسام منهج محدد وموحد لآليات الترجمة مع أن الترجمة بشكل عام لها علمها كما سلف وأشارت إلى الجهود في هذا المجال ، فإنه ما من شك أن للسنة النبوية خصوصية في هذا المجال ، لا سيما وهي نصوص شرعية ينبغي أن يراعى فيها كثيراً اختيار اللفظ كي يؤدي بمقتضاه إلى المعنى المراد .

٣ - كتابة معجم لغوي إسلامي يعني بالمفردات الإسلامية ويكون موجهاً لعامة المسلمين من غير الناطقين بالعربية ، كل حسب لسانه ويراعى في هذا المعجم ما يراعى في معاجم العامة العامة من سهولة العبارة وتزويده بالرسومات

ما أمكن إلى ذلك .

٤ - جرد المفردات العربية في اللغات الأخرى وإصدار معاجم متخصصة في هذا المجال ، كي يتسنى لغير الناطقين بالعربية التعرف أكثر إلى مفردات عربية انتقلت إلى لغتهم وباتوا يستخدمونها - وهذا شيء مما نراه اليوم حين نتداول لفظة إنجليزية فينبهنا إليها لغوي أن أصلها عربي ، فيسهل حفظها وتداولها .

٥ - وضع جائزة خمسية - أي كل خمس سنوات - لكل من بذل في هذا السبيل مشروعاً متميزاً .

٦ - قيل قديماً : إن النحو أوله شغل وآخره بغي^(١) ، وقيل في تفسير ذلك : إن النحوي إذا حذق النحو بغي على غيره من العامة ، ومثل ذلك أهل اللغة فإن كثيرين ممن يتخصصون في اللغة ربما لا تطاوعهم أنفسهم على التسهيل في الألفاظ والمفردات، وإذا ما خلت السنة من الدخيل والمولّد ؛ فإن المهمة تعتبر أيسر وأسهل ، فحري بكل مشتغل بالترجمة أن يعني باللغة العربية وأن يتعرف أكثر إلى يسيرها وقريبها وأحراها دلالة ومؤدى.

ختاماً : أشكر القائمين من أصحاب الفضيلة والعلم في الجمعية العلمية السعودية للغة وعلومها على إتاحة الحديث في هذه الورقة التي لم أود لها أن تكون لغوية إلى هذا الحد لكن ما جبر وألزم هو أننا نخدم سنة المصطفى ﷺ ولغة القرآن .

اللهم وفق الجميع لما تحب وترضى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

،،،

(١) انظر : صبح الأعشى بصناعة الإنشاء (١/٢٠٨) .

المصادر والمراجع

- القلشندي : أبو العباس أحمد بن علي ،
صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، تحقيق : د . يوسف علي طویل ،
دار الفكر ، دمشق ، ط الأولى ١٩٨٧ م .
- السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،
المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، دار الكتب
العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٩٩٨ م .
- ابن فارس : أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ،
الصاحي في فقه اللغة العربية ومسائلها ، تعليق : أحمد علي بسبح ، دار
الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م .
- سلوم : أ . د داود ،
معجمات اللغة العربية المستعارة في اللغات الأجنبية ، دار عالم الكتب ،
بيروت ، ط الأولى ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ظاها : حسن ،
كلام العرب من قضايا اللغة العربية ، دار القلم ، دمشق ، ط الثانية
١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- ونسك : د . أ . ي ونسك ،
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي ، ترتيب : لفيف من المستشرقين
، دار الدعوة ، استانبول ، ١٩٨٦ م .

- السكاكي : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي ،
مفتاح العلوم ، ضبط وشرح : نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت
، ط ١ الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
- العسقلاني : أحمد بن علي بن حجر ،
فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، رتبه : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار
الريان للتراث ، القاهرة ، ط الأولى ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- ضناوي : الدكتور سعدي ،
المعجم المفصل في العرب والدخيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط
الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٤ م .
- الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر ،
البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطوي ، دار صعب ، بيروت ، ط الأولى
١٩٦٨ م .
- السجستاني : أبو داود سليمان بن الأشعث ،
السنن ، دراسة : كمال يوسف الحوت ، دار الجنان ، بيروت ، ط
الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م .
- الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ،
السنن، تعليق : عزت عبيد الدعاس ، المكتبة الإسلامية ، استانبول ، ط
بدون.
- البيهقي : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي ،

- السنن الكبرى ، دار الفكر ، سوريا ، ط بدون .
- النيسابوري : أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم ،
- المستدرک علی الصحیحین ، دراسة وتحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م .
- حنبل : الإمام أحمد بن عبد الله ،
- المسند ، تحقيق : عبد الله بن محمد الدرويش ، دار الفكر ، بيروت ، ط الأولى ١٤١١ هـ / ١٩٩١ م .
- الطبراني : أبو القاسم سليمان بن أحمد ،
- المعجم الكبير ، تحقيق : حمدي السلفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط الأولى ١٤١٤ هـ .
- القزويني : أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه ،
- السنن ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، ط - بدون .